مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal For Researches And Scientific Activities
العدد الحادي عشر
March 2025 مارس
المجلد الرابع

قراءة سيميائية في غلاف رواية أنا يوسف لأيمن العتوم

أ. زينب علي صالح كليلة[1] أ. أمال ابوعجيلة إبراهيم الصابري [2] د. فاطمة قزيمة[3]
لغة عربية / جامعة الزاوية[1-2-3]
z.kaleelah@zu.edu.ly[1] a.alsabri@zu.edu.ly[2] f.iqzeemah@zu.ly[3]

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة سيميائية في غلاف رواية أنا يوسف للكاتب الأردني أيمن العتوم، بوصف الغلاف عتبة نصية موازية للنص الروائي، تحمل رموزًا ودلالات تتجاوز البعد الجمالي إلى البعد الدلالي والثقافي. تنطلق الدراسة من مشكلة رئيسة تتمثل في: كيف يسهم غلاف الرواية في تشكيل أفق التوقع وتأطير عملية التأويل لدى القارئ؟ وتعتمد الدراسة على المنهج السيميائي البصري، مستندة إلى أطروحات رولان بارت، جيرار جينيت، وأمبرتو إيكو. وقد أظهرت النتائج أن الغلاف يوظف عناصر بصرية (الألوان، القافلة، القميص، الخط العربي) لتجسيد ثيمات الرواية، مثل الخيانة، الغربة، الصبر، والهوية. كما تبين أن الغلاف يقدم قراءة بصرية موازية للنصويعزز من انفتاحه على التأويل. وتوصي الدراسة بضرورة إيلاء أهمية أكبر للغلاف كجزء من التحليل النقدي للأعمال الأدبية.

الكلمات المفتاحية: الغلاف – السيميائيات – العتبات النصية – أنا يوسف – أيمن العتوم

Summary:

This research provides a semiotic reading of the cover of *Ana Yusuf* (*I Am Joseph*) by Jordanian novelist Ayman Al-Otoum, considering the cover as a paratextual threshold that carries symbolic and cultural meanings beyond its aesthetic value. The study addresses the main research problem: How does the novel's cover contribute to shaping the reader's horizon of expectation and framing the interpretative process? The research adopts a visual semiotic approach, drawing on the works of Roland Barthes, Gérard Genette, and Umberto Eco. Findings reveal that the cover employs visual elements (colors, caravan, shirt, Arabic calligraphy) to embody the novel's central themes: betrayal, exile, patience, and identity. The cover thus provides a parallel visual reading of the narrative and reinforces its openness to interpretation. The study recommends integrating cover analysis as a key dimension in literary criticism.

Keywords: Cover, Semiotics, Paratext, Ana Yusuf, Ayman Al-Otoum.

المقدمة:

تُعد الرواية واحدة من أبرز الأجناس الأدبية التي تعكس قضايا الإنسان ومجتمعه، وتحمل في طياتها رسائل فكرية وثقافية ونفسية عميقة، ومن بين هذه الروايات التي حازت اهتمامًا واسعًا في الأدب العربي المعاصر رواية " أنا يوسف" للكاتب الأردني أيمن العتوم، والتي تُعيد سرد قصة النبي يوسف –عليه السلام – في قالب أدبي إنساني، يجمع بين اللغة الشعرية والتحليل النفسي والاجتماعي تتميز الرواية بقدرتها على النفاذ إلى أعماق النفس البشرية، وتسليط الضوء على مشاعر الألم والخذلان والثبات والإيمان.

أيمن العتوم، صاحب الأسلوب المميز، عُرف بأعماله التي تمزج بين العمق الروحي والتاريخي والرمزي، وهو ما يتجلى بوضوح في هذه الرواية التي تعكس جانبًا من معاناة الإنسان في وجه الظلم والتحديات. وقد اختار المؤلف عنوانًا مباشرًا ومؤثرًا "أنا يوسف"، ليُحيل القارئ فورًا إلى القصة القرآنية الشهيرة، ولكنه أيضًا يفتح الباب لتأويلات أوسع تتعلق بالهوية والبراءة والإنسانية.

ولا يخفى على أحد أهمية غلاف الرواية كواجهة تمهيدية تعكس شيئًا من مضمونها، بل وتُسهم في تشكيل التصورات الأولى لدى القارئ، فالغلاف ليس مجرد عنصر جمالي، بل أداة تعبيرية تحمل رموزًا ودلالات قد تكون مفتاحًا لفهم النص، وفي هذا السياق، تُعد دراسة غلاف رواية أنا يوسف مدخلًا مهمًا لتحليل كيف تُوظّف الصورة واللون والخط والرمز لخدمة الفكرة والمضمون الأدبي.

من هنا، يتناول هذا البحث تحليل الغلاف من جوانب عدّة، تشمل العناصر البصرية والرمزية، والهوية الثقافية، وتمثيل الزمن والمكان، وذلك لفهم العلاقة بين الشكل والمضمون، وكيف يمكن لعنصر بصري واحد أن يعكس عالمًا من المعاني والدلالات.

مشكلة البحث: وتكمن مشكلة البحث في الاجابة على السؤال الرئيس التالي:

– كيف يسهم غلاف رواية أنا يوسف في توجيه أفق التلقي والتأويل.؟ وما هي رموزه السيميائية.؟

وينبثق من هذا السؤال عدد من التساؤلات الفرعية، منها:

- كيف يوظَّف اللون والخط والرمز في تشكيل دلالاته؟
- ما علاقة الغلاف بالهوية الثقافية الإسلامية والعربية للرواية؟
- كيف يعبّر الغلاف عن ثنائية الزمن والمكان في الرواية؟

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث فيما يلي:

1- إبراز الغلاف كجزء أساسي من النص الروائي، لا كعنصر تكميلي.

2 – إغناء الدراسات النقدية العربية بالتحليل السيميائي للغلاف الأدبي.

3 – تسليط الضوء على البعد الرمزي والبصري لرواية "أنا يوسف".

4 – تقديم نموذج يمكن أن يُستفاد منه في دراسات مقارنة لأغلفة أعمال أدبية أخرى.

اهداف البحث: يهدف البحث إلى الاتي:

1. تحليل الغلاف الأمامي والخلفي لرواية "أنا يوسف" وفق مقاربة سيميائية.
2. الكشف عن الوظائف الدلالية للألوان والخطوط والرموز.
3. توضيح دور الغلاف في بناء الهوية الثقافية والدينية للنص.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج السيميائي بوصفه أداة لتحليل الخطاب البصري، من خلال:

* نظرية العتبات النصية (جيرار جينيت) لفهم دور الغلاف كواجهة نصية وبصرية.
* مقاربة رولان بارت للصورة بوصفها خطابًا ثقافيًا يتجاوز ظاهرها إلى بنيتها الدلالية.
* تأويلات أمبرتو إيكو التي تنظر إلى العلامة ضمن شبكة دلالية مفتوحة.

الدراسات السابقة:

وقد تناولت بعض الدراسات موضوع الغلاف الأدبي، منها:

1. نصر، حازم (2021) " دلالة الغلاف في النصوص السردية " مجلة البحوث الأدبية واللغوية، العدد 15، ركّز على دور الغلاف في تشكيل الانطباع الأولي لدى القارئ.
2. حمدي، فاطمة (2020) " الرمزية البصرية في الغلاف الأدبي" مجلة نقدية عربية، أبرزت توظيف الألوان والرموز في التعبير عن المضمون.
3. بوعبدالله، محمد (2017). " مدخل إلى السيميائيات البصرية" مجلة الممارسات اللغوية، تناول مفهوم الصورة كخطاب بصري دلالي.

ويُلاحظ أن معظم هذه الدراسات اهتمت بالجانب النظري أو بنماذج مختلفة، بينما لم يُخصَّص غلاف رواية "أنا يوسف" بدراسة معمقة، وهو ما تسعى هذه الورقة إلى تداركه.

ويتضمن البحث مقدمة ومبحثين، المبحث الأول يحوي التعريف بالرواية ومؤلفها، وأهمية دراسة الغلاف كجزء من التحليل السيميائي، والمبحث الثاني يتضمن التحليل السيميائي لغلاف رواية " أنا يوسف "، وأخيراً الخاتمة.

خطة البحث: تتكون من مبحثين

المبحث الاول: الرواية ومؤلفها.

المبحث الثاني: تحليل عتبات غلاف رواية أنا يوسف.

المبحث الاول: الرواية ومؤلفها

❖ تعريف الرواية ومؤلفها:

رواية "أنا يوسف" هي واحدة من أبرز أعمال الكاتب الأردني أيمن العتوم، صدرت عام 2019، وتتناول بأسلوب أدبي رفيع قصة النبي يوسف عليه السلام، ولكن من منظور إنساني وفلسفي يعكس معاناة الإنسان في مواجهة الظلم والقهر[1].

لا تقتصر الرواية على إعادة سرد القصة المعروفة في التراث الديني، بل تسعى إلى التغلغل في المشاعر الداخلية ليوسف، وتُسلّط الضوء على أبعاده النفسية والعاطفية، ما يجعل القارئ يعيش التجربة وكأنها شهادة إنسانية خالصة عن الخذلان، والصبر، والثبات على المبدأ.

أما المؤلف أيمن العتوم، فهو شاعر وروائي أردني وُلد عام 1972، حاصل على دكتوراه في اللغة العربية، ويُعرف بأسلوبه الأدبي الذي يجمع بين البلاغة العالية والطرح الفكري العميق. له عدة روايات مشهورة، منها يا صاحبي السجن، حديث الجنود، ذائقة الموت، ويسمعون حسيسها، و تتميز أعماله بالتركيز على القضايا الوجودية، والظلم، والحريات، وغالبًا ما يربط بين الأدب والدين والتاريخ في سياقات إنسانية مؤثرة.

❖ أهمية دراسة الغلاف كجزء من التحليل الأدبي:

يُعد غلاف الرواية عنصرًا بصريًا مكمّلًا للنص الأدبي، فهو ليس مجرد غلاف تجاري يُستخدم لأغراض تسويقية، بل يحمل في كثير من الأحيان رموزًا ودلالات تعكس مضمون الرواية وموضوعها وأجواءها.

إن الغلاف يُمثل أول تواصل بين القارئ والنص، وقد يكون محفزًا قويًا على قراءة العمل أو تأمّل معانيه. فالألوان المستخدمة، والرموز، والصور، والخطوط، وحتى طريقة كتابة العنوان، جميعها عناصر تسهم في تشكيل انطباع أولي عن الرواية وتوجه القارئ نحو فهم معين قد يتعزز أو يتغير مع تقدم القراءة.

وتزداد أهمية دراسة الغلاف عندما يكون مصممًا بعناية ليعكس الثيمات الرئيسة للرواية، مثل الصراع، أو الهوية، أو الزمن، أو البعد الديني، كما هي الحال في رواية أنا يوسف. فالغلاف يُمكن أن يُقدم "قراءة موازية" للنص، أو يكون بمثابة مفتاح رمزي يُضيء بعض زوايا العمل التي قد تبدو غامضة من دون هذا المدخل البصري.

لذلك، فإن إدراج تحليل الغلاف ضمن التحليل الأدبي يُعد خطوة منهجية ضرورية لفهم أعمق للنص، خاصةً في الأعمال التي تعتمد على الرمزية والتكثيف البصري واللغوي[2].

فعنوان رواية " أنا يوسف " هو من العتبات النصية، وذلك باعتباره فاتحة الفواتح النصية، والموازية لسيطرته على الواجهة المركزية للغلاف بمساحة لا بأس بها، فعنوان رواية أيمن العتوم يواكب الظهور من بداية العرض الروائي حتى نهايته، وذلك إما باسم الرواية أو بشيء من متعلقات شخصيتها[(3)].

وتسعى هذه الدراسة إلى مقاربة سينمائية بصرية، تُعنى بتحليل الغلاف بوصفه خطاباً بصرياً يحمل دلالات ثقافية ونصية ويُعدّ من العتبات النصية الأساسية كما يبين جيرار جينيت، الذى يرى أن كل ما يحيط بالنص – من غلاف ،عنوان، اسم المؤلف، دار النشر– يدخل ضمن ما يسمّيه بـ(العتبات النصية) (paratextes) وتُسهم في تشكيل فهم القارئ للنص وتوجيه توقعاته بشأنه[(4)].

أما السيميائيات البصرية، فقد أسهم رولان بارت في تأسيسها من خلال تحليله للصورة بوصفها خطاباً ثقافياً، مؤكداً أن الصورة لا تُفهم من ظواهرها فقط، بل من خلال البنية الثقافية والاجتماعية التي تنتمى إليها، حيث تتكون من (دال بصري) يحرك (مدلولاً ثقافياً)[5] .

ويضيف إميرتو إيكو في سياق التأويل السيميائي أن العلامة لا تفهم بذاتها بل ضمن شبكة علاقات دلالية، ما يجعل الصورة البصرية – كغلاف الرواية – نظاماً مفتوحاً يتطلب تأويلاً قائماً على الوعي السياقي والرمزي. [(6)]

وعلى هذا الأساس، يُنظر إلى غلاف رواية أنا يوسف على أنه نص بصري قائم على التناص الرمزي مع المرجعية القرآنية، إذ يستدعي من خلاله رموزا كالقميص والبئر والذئب والقمر وهي رموز تنتمي إلى المخزون السردي لقصة يوسف –عليه السلام– وقد بين محمد بوعبدالله في دارسته حول

السيمائيات البصرية أن الصورة تمثل وظيفة إشارية تماثلية، تعمل على ترسيخ المعنى عبر استدعاء الرصيد الرمزي والثقافي المشترك [7].

كما يُمكن إدراج هذا التحليل ضمن ما يُعرف بسلامة الصورة إذ تؤثر في المتلقي وتوجُه تأويله، وهو ما أشار إليه محمد أركون في حديثه عن قوة الصورة في الثقافة الإسلامية ودورها في إعادة إنتاج المعنى المقدس والتاريخي[8].

المبحث الثاني : تحليل عتبات غلاف رواية أنا يوسف :

تلعب أغلفة الروايات دورًا مهمًا في إيصال الرسائل الرمزية والتلميحات الجمالية التي تعكس مضمون العمل الأدبي، وغلاف رواية أنا يوسف هو أحد الأمثلة البارزة على الاستخدام الرمزي والتصميمي الجذاب الذي يدفع القارئ إلى التأمل قبل حتى تصفح الصفحات.

أولاً: الغلاف

الغلاف هو أول ما يقع عليه بصر القارئ، ويشد انتباهه، فهو يحمل أبعاداً إغرائية ودلالية وتأويلية واختيار الغلاف يستدعي من المؤلف قدراً عاليا من الدقة والتأني .

فالغلاف عبارة عن نص مواز يعكس رسالة المؤلف التي يهدف إلى إيصالها للقارئ، فهو يمثل العتبة الأولى للدخول إلى عالم النص واستكشاف مكنونه، قبل الانخراط في سرد الأحداث الروائية.

والغلاف في اللغة مأخوذ من الحجب والتغشية، يقول ابن فارس "العَيْنُ واللَّام والْفَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ صَحِيحَةٌ، تدل على غِشاوةٍ وغشيان شيءٍ لشيءٍ يُقَالُ: غِلاف السّيف والسكّين وقلْبُ أعْلَفُ: كَأَنَّمَا أغْشِيَ غُلافاً فَهُوَ لَا يَعِي شَيْئاً[9] .

وقد بين ابن منظور أن الغلاف هو وعاء الشيء الذي يوعى فيه، أي يوضع فيه ويحتوي[10] .

أما في الاصطلاح النقدي الحديث، فإن الغلاف ينظر إليه عتبة نصية ضرورية، تمثل نقطة الانطلاق إلى اكتشاف عوالم النص، إذ يُمكّن القارئ من التمهيد لفهم البنية الدلالية، ورصد أبعاده الفنية والجمالية، وقد أكد جيرار جينيت أهمية العتبات في توجيه المتلقي حين قال: "العتبة هي تلك المنطقة المحايدة، يلي ذلك الحد الفاصل الذي يفصل النص عن خارجه، ويفتح في الوقت ذاته الطريق إليه"[11].

ويتكون الغلاف من واجهتين: أمامية وخلفية، تتضمن الواجهة الأمامية عدداً من العناصر البصرية والمعلوماتية، مثل اسم المؤلف ،والعنوان الرئيس، والعنوان الفرعي، والمؤشر الجنسي للنص. (كالرواية أو القصة)، إضافة إلى رقم الطبعة، واسم دار النشر، وغالباً ما تُزين بلوحة فنية أو أيقونة رمزية تُعبّر عن مضمون العمل.

أما الواجهة الخلفية، فتخصّص عادةً لكلمة الناشر، وتُرفق أحياناً بصورة الكاتب مع نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية، وقد تتضمن أيضًا قائمة بأعماله الأخرى التي نشرتها الدار، وتُعدّ هذه العناصر جزءاً من منظومة العتبات المحيطة بالنص، التي تعمل على تنظيم العلاقة بين النص وقارئه، وتوجيه أفق التلقي منذ اللحظة الأولى[12].

وبناءً على ما سبق، فإذا تأملنا في العتبات الأمامية لغلاف رواية أنا يوسف"، يبرز لنا مشهد صحراوي يهيمن عليه درجات لونية تتراوح بين الأصفر الرملي، والبني الداكن، مع أفق ملبد بغيوم أرجوانية شاحبة، ما يشي بجو كئيب، مملوء بالحذر والانتظار.

ويتقدم المشهد رجل مُلثَّمٌ يقود بعيراً محملاً بصناديق، وتمتد خلفه قافلة من الجمال المحملة بالصناديق أو البضائع على ظهرها، تشق طريقها عبر رمال الصحراء المتطايرة توحي إلى التوتر والحركة ، هذه الصورة تحمل رموزًا دلالية متعددة الأبعاد منها الرجل الملثم؛ حيث تتقاطع دلالة اللثام بين الغموض، والتخطي والحذر، وهذا يتناسب وجوّ الرواية، إذ يمكن أن تعبر هذه الشخصية على أحد أفراد القافلة التي التقطت يوسف عليه السلام من البئر، و حملته معها إلى مصر، وهذا الوصف ينطبق أيضاً على القافلة التي سار فيها أخوة يوسف إلى مصر، و هذا الغموض المقصود يدفع القارئ إلى التساؤل والافتراض، وهو ما يشحن الغلاف بوظيفة سيميائية منفتحة على التأويل.

وتُعدّ القافلة في هذا المشهد لقصة يوسف –عليه السلام –عنصراً محوريًا، حيث مثلت وسيلة الانتقال من عالم الطفولة البريء إلى عالم الابتلاء والغربة، فظهور القافلة في الغلاف يستحضر هذا المعنى، ويرمز إلى التحول الجذري في حياة يوسف عليه السلام، من القرب العائلي والاحتواء إلى الغربة، ومن الجبّ إلى قصر العزيز.

والصناديق المحمولة أيضاً تحمل شفرات دلالية مضاعفة تتمثل في حمل الحياة أو الأسر أو حتى القدر المحمل على الظهر، ما يجعل حضورها ثقيلاً من حيث الوظيفة الرمزية.

❖ **القراءات البصرية في صورة الغلاف :**

تلعب الألوان دوراً أساسياً في العتبات النصية وهي من أبرز مكونات الجمال والتذوق " إن دراسة الألوان تهدف إلى التذوق الجمالي وإلى تقليد الطبيعة بتبيين لون المادة وإبرازها عن غيرها، والإلمام بخلق الألوان الأصلية والثانوية والفرعية وكيفية استخدامها وكيفية تزويجها والتحكم في تضادها"[13].

إذ يكون للألوان دور محوري في صياغة البعد العاطفي والنفسي للغلاف، فهيمنة الألوان الترابية، والبنية، والرمادية توحي جميعها بالحزن، والغياب، والغموض، وغياب الشمس، والسماء الملبدة تحيل إلى التوتر الدرامي، كأن العاصفة قادمة أو كأن زمناً عسيراً يُعلن عن نفسه بصمت بصري .

ويظهر اسم الرواية " أنا يوسف " بخط عريض في وسط الغلاف، بحضور لافت، يحمل بعداً شخصياً توكيديًا، والضمير (أنا) يحيل إلى البوح والاعتراف، والمواجهة، وهو ما يفتح أفق الرواية ليعيد قراءة الحكاية القرآنية من الخارج قبل الداخل، ويظهر اسم المؤلف "أيمن العتوم " وسط الغلاف، بلون أبيض صافٍ، ما يمنحه حضوراً ملكياً، ويرسخ علاقة السلطة بين الكاتب والنص، واللون الأبيض يحمل دلالات الطهر والصدق.

أما الكتابة الأجنبية لاسم المؤلف تعد مؤشرا لانفتاح الرواية على القارئ غير العربي وتكشف عن بعد تسويقي، بحيث تصبح الرواية مرشحة للترجمة، باللغات الأجنبية، ويظهر شعار دار المعرفة للنشر والتوزيع المتخذ شكل قلم محاط بدائرتين، يحيل إلى التدوين والمعرفة والشمولية، وختم الطبعة الخامسة في أسفل الغلاف، يشير إلى رواج الرواية وانتشارها ما يدعم فرضية تأثير غلافها ودوره في جذب القراء.

فالغلاف الأمامي لرواية (أنا يوسف) ليس مجرد واجهة جمالية، بل هو نص مواز، يستدعي قصة يوسف –عليه السلام – لكنه يفعل ذلك بلغة بصرية (رمزية) فيها من الانزياح والانفتاح ما يجعل المتلقي شريكًا في تأويله، كما يمثل الغلاف وظيفة إغرائية، وتسويقية، ومعرفية وروحية في وقت واحد، بوصفه خلاصة مكثفة لما ستقدمه الرواية من تجربة عميقة.

وإذا كان الغلاف الأمامي يشكل العتبة البصرية الأولى التي تفتح أفق التوقع وتخلق الانطباع الانفعالي الأول، فإن الغلاف الخلفي لا يقل أهمية عنه في تشكيل أفق توقع القارئ، وتوحي بمسافة تواصل شبه مباشر مع روح النص، عبر تجلياته البصرية واللغوية والتصميمية، وتمتد الخلفية اللونية

في تنسيق مع الواجهة الأمامية، محافظة على التدرجات الرملية، التي توحي بالصحراء والجفاف، والتيه والغربة، والرحيل، وهذه الاتساقية اللونية تخدم المعنى المتصل بالسرد، حيث تحافظ على الحالة الشعورية في وجدان المتلقي من بداية واجهة الغلاف الأولى، فاللون البني المائل إلى الصفرة يرمز إلى التصحر الروحي الذي يمرّ به البطل، وإلى جفاف العاطفة ، وامتداد الزمن في فضاء قاس لايرحم؛ هذا الامتداد البصري يخلق وحدة عضوية بين الغلافين، مما يجعل النص الروائي يبدو وكأنه يخرج من رحم غبار الزمن والتاريخ.

ويتصدر الغلاف الخلفي مقطوعة تتخذ مكان الملخص السردي التقليدي، فهذا الاختيار الجمالي يعكس فلسفة الرواية ذاتها "الإخوة صف ، الأخوة نزف، كلا ينهدّ جدار البيت ولا ينهد جدار الإخوة كل جدار غير جدار الإخوة زيف ينهدُّ على أضعفهم، الأجمل ضعف، الأجمل محسود، مُذْ خَلَق الله الحسن على صورته ، الأجمل لا يحمل سيف، والأجمل حتف" ، هذه المقطوعة تعد تجسيداً للمأساة الإنسانية في قصة يوسف –عليه السلام–، حيث تتحول الأخوة من رابطة قوة إلى علاقة خيانة ونزف، إن الاستهلال بـ " الإخوة صف" تم قلب المعنى إلى الإخوة نزف " يخلق مفارقة سيميائية تبرز هشاشة العلاقات الأسرية، والتكرارات اللفظية مثل ينهدّ " ، " الأجمل" ، تُولد إيماناً داخلياً يشد القارئ نحو التوقف والتأمل، كما أن تعبير مذ خلق الله الحسن على صورته يحمل تورية جمالية مزدوجة ، فهو يحيل إلى جمال يوسف –عليه السلام–، ومن جهة أخرى يُبرز أن الجمال قد يكون لعنة حين يثير مشاعر الكرامة والحسد.

هذه المقطوعة تمنح القارئ منظورا نفسيا ووجدانيا يسوقه إلى الدخول في المتن السردي وتمنحه رموزاً لفهم الصراعات الدفينة التي تحكم أحداث الرواية.

وأسفل المقطوعة نلاحظ مجموعة من أعمال الكاتب مرتبة في صفين، هذا الترتيب لا يخلو من دلالة ترويجية وتسويقية واضحة، وكذلك يشكل شبكة ترابطية داخلية تحيل على امتداد المشروع الروائي للكاتب.

وفي الأسفل نجد شعار دار المعرفة والتوزيع، والمعلومات التوثيقية الكاملة الخاصة بدار النشر من هاتف وبريد إلكتروني وموقع جغرافي (القاهر– خلف جامع الأزهر)، ما يدل على الاحترافية والحرص على الانتشار.

وفي الزاوية السفلى اليسرى من الغلاف نجد الرقم المعياري الدولي، والذي يمثل "هوية الكتاب الرقمي عالمياً " ويوظف هنا لأغراض التوثيق، والتسويق، والرقمية، وهي وظيفة باتت ضرورية في عالم النشر المعاصر.

ويلاحظ في أعلى الغلاف كتابة اسم المؤلف بالأحرف اللاتينية (AYMANAL–OTOOM) وهذا الاختيار لا يأتي اعتباطًا كما أسلفنا الذكر بل يدل على رغبة الروائي ومؤسسة النشر في توسيع أفق الانتشار عالمياً ، وإتاحة أعماله أمام الترجمة والتسويق الدولي.

ولا يغيب عن الغلاف أيضًا الهامش الجانبي الذي يحوي معلومات موجزة، لكن حاسمة (اسم المؤلف ،عنوان الرواية، اسم دار النشر)، كلها تكتب بطريقة عرضية لتُسهل على القارئ العثور على الرواية عند تصفح الرفوف في المكتبات.

إن الغلاف الخلفي لرواية "أنا يوسف"، يتجاوز كونه مساحة إشهارية، ليغدو منظومة سيميائية متكاملة تتشابك فيها النصوص، والرموز، والألوان، والخطوط لتكون دلالة موحية عن مأساة يوسف –عليه السلام –كما صاغها العتوم، والمقطوعة الشعرية تحتل قلب الغلاف كونها مركز التوتر الدلالي، بينما تتوزع حولها العلامات الأخرى التي تعزز حضور الرواية في السوق، وترسم خطوط التماس بين النص والمتلقي.

ثانياً : العنوان

يعد العنوان عتبة نصية أولى تحمل شحنة دلالية وجمالية تؤطر عملية التأويل، وفي رواية "أنا يوسف" لأيمن العتوم تتجلى كعلامة سيميائية مركزية تنتظم حولها شبكة من الدلالات.

فالعنوان يتشكل من جملة اسمية بسيطة في ظاهرها "أنا يوسف" "لكنها تحمل في طياتها تعقيداً دلالياً يستدعي القراءة المتأنية.

وتتكون هذه الجملة من ضمير المتكلم "أنا" واسم العلم "يوسف". ما يخلق تركيباً يحيل على الهوية والاعتراف والسرد الذاتي.

وفي السياق الروائي يتحول الضمير "أنا" إلى أداة سردية تشير إلى أن الرواية تروى بضمير المتكلم، مما يوحي بسرد داخلي له طابع اعترافي أو دفاعي.

هذا الاختيار أسلوب يهيء القارئ للتفاعل الوجداني مع البطل، حيث يخلق انطباعاً بالصراحة والمواجهة الذاتية، ولا يظهر هذا التعبير في النص بشكل عشوائي، بل يرتبط بلحظات مفصلية في السرد، مما يعزز من قوته الدلالية.

وينهض بوظيفة مزدوجة جمالية تتمثل في الإيقاع اللغوي والبساطة العميقة، ودلالته تتجلى في إحالته إلى مرجعيات متعددة، فالعتوم لا يستعمل فيها تعبير " أنا يوسف" "إلا في منعطفات سردية حاسمة، منها موقف التهديد بالقتل وأول ظهور للتعبير مع إخوته حينما عزموا على قتله هو وأخيه، في مشهد يستلهم القصة القرآنية، لكن مع إضافة عنصر تخييلي يتمثل في قرار قتل الأخوين معاً، وأيضا عند دخول السجن، واحتاج لتعريف نفسه للسجناء تمهيداً لدعوتهم للإيمان، وكذلك عند الاعتراف بهويته الحقيقية لإخوته.

هذا التوزيع المدروس لظهور العبارة العنوانية يجعل منها علامة سردية فارقة، حيث يرتبط كل ظهور بحدث يغير مسار السرد، وبذلك يصبح العنوان ليس مجرد عتبة أولى، بل مفتاحاً تأويلياً يتخلل النص كله.

وتُعد رواية " أنا يوسف" اقتباساً مباشراً من القرآن الكريم ، من سورة يوسف في قوله تعالى: " ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ "سورة يوسف الأية90"

هذا التناص المباشر يخلق حواراً بين النص الروائي والنص القرآني ، حيث يستدعي القارئ القصة القرآنية بكامل أبعادها. لكن الكاتب أيمن العتوم لا يكتفي بإعادة سرد القصة القرآنية، بل يضيف عليها طبقات تخييلية، أهمها :

- توسيع دائرة المؤامرة: جعل الإخوة يقررون قتل يوسف وأخيه معاً، بينما في النص القرآني كانت المؤامرة ضد يوسف وحده.
- توظيف السيرة الذاتية: حيث يمكن قراءة المعاناة الشخصية للكاتب، خاصة تجربة السجن من خلال تقمص شخصية يوسف.

هذا الانزياح التخيلي يخلق توتراً إبداعيا بين النص المقدس والنص التخييلي ، أي بين الثابت والمتحول، مما يثري عملية التأويل.

إن إعلان الهوية في العنوان (أنا يوسف) ليس مجرد تعريف، بل صرخة وجودية تواجه الغدر "كما في قصة إخوة يوسف وتواجه النسيان (كما في تجربة السجن) وهذا ما يجعل العنوان ليس مجرد وسيلة تعريف وحسب، بل أداة مقاومة سردية أيضا.

ويمكن قراءة العنوان على مستويين متوازيين، وهما المستوى الحكائي كإعلان هوية البطل الروائي الذي يتقمص شخصيته يوسف النبي –عليه السلام–و المستوى الرمزي كتعبير عن معاناة الكاتب نفسه، خاصة في تجربة السجن التي تشكل نقطة تقاطع بين يوسف التاريخي والعتوم المعاصر.

وهذا التطابق النفسي بين المؤلف والبطل يجعل من العنوان نافذة على سيرة ذاتية مقنعة، حيث يصبح " أنا يوسف" تعبيراً عن كل مضطهد، وكل سجين، وكل من وقع عليه الظلم.

ويقدم عنوان الرواية " أنا يوسف " نموذجاً إبداعياً للعتبات النصية، حيث لا يكتفي بالإحالة إلى المضمون، بل يصبح جزءاً عضوياً من بنية التأويل، إنه عنوان مباشر في ظاهره، عميق في دلالاته، يخفي تحت بساطته لغزاً تأويلياً يتكشف على مراحل، تماما كما تتكشف قصة يوسف –عليه السلام– في القرآن الكريم، بهذا يصبح العنوان ليس مجرد عتبة يبدأ منها، بل هو النقطة التي تعيدنا دوماً إلى النص، لنقرأه من جديد كل مرة بعيون مختلفة.

ثالثاً: الرمزية

الغلاف يوحي بأن الرواية تتناول قصة ظلم أو خيانة، مع وجود جانب ديني أو تاريخي مستوحى من قصة النبي يوسف –عليه السلام–.

أما الألوان والخطوط فتعبّر عن التوتر والانفعال الداخلي، وهو ما يتماشى وأسلوب العتوم المعروف في تناول القضايا الإنسانية.

ويحمل غلاف الرواية طابعًا رمزيًا غنيًا يعكس عمق مضمون الرواية ، فالاسم نفسه "يوسف" يحيل إلى قصة النبي يوسف –عليه السلام– وهي قصة مشحونة بالرموز المرتبطة بالبراءة والخذلان والصبر والانتصار.

والثوب الأبيض الظاهر في خلفية الغلاف يمكن أم يكون رمزًا للنقاء، ولكنه أيضًا يُذكّر بقميص يوسف الذي كان شاهدًا على الخداع والبراءة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وجاؤوا على قميصه بدم كذب﴾. سورة يوسف الآية 18 .

واللون الداكن المسيطر على الغلاف يعكس الأجواء القاتمة والمأساوية التي تحيط بالقصة، بينما الخط العربي المستخدم في كتابة العنوان يرمز إلى الانتماء الثقافي والديني، ويضفي على الغلاف طابعًا روحانيًا وجماليًا في آن واحد.

رابعاً: الهوية الثقافية :

الغلاف يعكس بوضوح الهوية الثقافية الإسلامية والعربية للرواية، فالخط العربي الأصيل المستخدم في كتابة العنوان، مع توظيف اسم "يوسف" المعروف في الموروث الإسلامي والقرآني، يربط الرواية مباشرة بهوية دينية وروحية، حتى الألوان والمفردات البصرية تُحاكي الذوق البصري العربي وتوحي بأجواء الصحاري والمكان المقدّس، مما يجعل الغلاف تجليًا مرئيًا للهوية التي تحملها الرواية نصًا وسياقًا.

رابعاً: الزمن والمكان

رغم أن الغلاف لا يُظهر مكانًا أو زمانًا بشكل صريح، إلا إن عناصره تحمل إشارات غير مباشرة لذلك الغياب الواضح للزمن والمكان ما يدفع القارئ إلى التأمل في الطابع "الزمني المفتوح" للرواية، مما يعكس أن قصة يوسف لا تنتمي إلى حقبة معينة فقط، بل تتكرر بأشكال مختلفة في كل زمان ومكان.

والثوب الأبيض المتدلّي يوحي بمكان السجن أو البيت، واللون الداكن المحيط به يوحي بالعزلة، مما يدعم الإيحاء الزمني المكثف للحظة الظلم أو الحبس.

النتائج:

1. الغلاف يحمل دلالات رمزية ودينية تتناغم مع مضمون الرواية.
2. يعكس الغلاف الهوية الثقافية الإسلامية والعربية من خلال الخطوط والعنوان والرموز.
3. الغلاف يوحي بالزمن والمكان بشكل غير مباشر، مما يفتح باب التأويل لدى القارئ.
4. يُسهم الغلاف في تشكيل تصورات أولية دقيقة ومؤثرة عن الرواية ومحتواها.

التوصيات :

1. إدراج تحليل الأغلفة في الدراسات النقدية بوصفها نصوصًا موازية.
2. تشجيع الباحثين على مقارنة أغلفة الطبعات المختلفة لرواية واحدة.
3. توسيع الدراسات لتشمل علاقة القارئ بالغلاف (التلقي البصري).
4. دعوة الناشرين إلى تصميم الأغلفة بوصفها جزءًا من البنية الفكرية للرواية.

الخاتمة:

يمثل غلاف رواية أنا يوسف لأيمن العتوم نموذجًا بصريًا يمكن من خلاله الدخول إلى عمق النص الأدبي، وفهم أبعاده النفسية والرمزية والثقافية، ولقد بين التحليل أن الغلاف ليس مجرد عنصر جمالي يُضاف من باب الزينة، بل هو أداة فنية وفكرية تعبّر عن مضمون الرواية، وتختصر الكثير من دلالاتها في صورة واحدة مركّبة ومشحونة بالرموز.

ويتجلى من خلال الغلاف توظيف ذكي للألوان والعناصر البصرية، مثل الثوب الأبيض والخلفية المعتمة، والخط العربي، لخلق فضاء تعبيري يمهد لتجربة القراءة، كما إن اختيار اسم "أنا يوسف" يشكل مفتاحًا لفهم البعد الإنساني والوجداني للرواية، حيث تتداخل الرمزية الدينية مع المعاناة النفسية، في سرد يحاكي قصة النبي يوسف ولكن في ثوب أدبي معاصر.

كما أظهر البحث الغلاف الذي يعكس الهوية الثقافية للرواية، من خلال ارتباطه بالتراث العربي والإسلامي، ويقدّم قراءة مفتوحة للزمان والمكان، وهو ما يعزز من عالمية الرسالة التي تحملها الرواية من معاناة الإنسان المظلوم، وصبره، وتمسّكه بالقيم.

إن هذا التحليل يؤكد أن دراسة غلاف الرواية يمكن أن يوفر مدخلًا نقديًا موازياً يُسلّط الضوء على العلاقة المتداخلة بين الشكل والمضمون، وبين الفن البصري والفكر الأدبي، ويفتح هذا الباب أمام دراسات أوسع يمكن أن تشمل مقارنة بين أغلفة روايات أخرى لأعمال العتوم أو غيره من الكُتّاب الذين يوظفون الغلاف كجزء من بنية الرواية وعمقها.

المصادر و المراجع:

اولا: المصادر (القرآن الكريم)

ثانيا: المراجع

1- أركون محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي. ترجمة هاشم صالح ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1996.

2- إيكو، امبرتو السيمائيات والتأويل – ترجمة: فتحي انفزوا دار العطر، اللاذقية، 2005

3- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف ج.

4- بوعبدالله، محمد " مدخل إلى السيمائيات البصرية" مجملة الممارسات اللغوية، جامعة قسنطينة، العدد 2017.20

5- بارت رولان، بلاغة الصورة، ضمن: مقالات في السيسيولوجيا ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء: 1986

6- جينيت ، جيرار عتبات: عتبات النص . ترجمة محمد بذريس دار التنوير، بيروت،2007

7- جيرار جينيت : عتبات النص، ترجمة: محمد معتصم ، حسن المؤن ، محمد دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، ط1، 2007:

8- حمدي، فاطمة. "الرمزية البصرية في الغلاف الأدبي" ، مجلة نقدية عربية، 2020.

9- حفناوى بعلي، تحولات الخطاب الروائي الجزائري. أفاق التجديد، ومتاهات التجريب ،دارالياروي عمان الأردن 2019

-10- حمد بن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر بيروت 1982، ج6

11- العتوم، أيمن. أنا يوسف. دار المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، 2019.

12- قدور عبد الله الثاني، سيمائية الصورة (مغامرة سيمائية في أشهر لإرساليات البصرية في العالم)، الورق النشر، عمان الاردن ط1، 2008.

13- نصر، حازم. "دلالة الغلاف في النصوص السردية"، مجلة البحوث الأدبية واللغوية، العدد 15، 2021..-

الهوامش:

[1] 1- العتوم ، أيمن ، رواية أنا يوسف، دار المعرفة للنشر والتوزيع ،ط 5 ،2019 ، ص5 .

2 - نصر، حازم. "دلالة الغلاف في النصوص السردية"، مجلة البحوث الأدبية واللغوية، العدد 15، 2021 ، ص 5.

3 - ينظر حفناوى بعلي، تحولات الخطاب الروائي الجزائري. أفاق التجديد، ومتاهات التجريب ،دارااليازوي للنشر والتوزيع ع، مان الأردن 2019 ،ص 262.

4 - جينيت ، جيرار عتبات: عتبات النص . ترجمة محمد بذريس ،دار التنوير، بيروت،2007،ص13.

5 - بارت رولان، بلاغة الصورة، ضمن: مقالات في السيسيولوجيا ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء: 1986، ص 45.

6 - إيكو، امبرتو السيمائيات والتأويل - ترجمة: فتحي انفزوا دار العطر، اللاذقية، 2005، ص 122.

7 - بوعبدالله، محمد " مدخل إلى السيميائيات البصرية" مجملة الممارسات اللغويطة، جامعة قسنطينة، العدد 201720،ص101.

8 - أركون .محمد . تاريخية الفكر العربي الإسلامي. ترجمة هاشم صالح ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1996،ص219.

9 - أحمد بن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ، بيروت ،1979 ، مادة غَلَف، ج4 ، ص390.

10 - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف ج 9، ص : 328 مادة غلف .

11 - - جيرار جينيت : عتبات النص، ترجمة: محمد معتصم ، حسن المؤن ، محمد دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، ط1، 2007 ص:9

12 - جيوار جيتنيت، عتبات النص، -ص: 11-13.

13 - - قدور عبد الله الثاني، سيميائية الصورة (مغامرة سيميائية في أشهر لإرساليات البصرية فى العالم ، دار الغرب النشر والتوزيع ،عمان الاردن ط1، 2008،ص150.